طلقة (١١)

(تعظيم سلام)

أطول ليلة في تاريخ الشاذلي

obeikan.com

يقول محمد حسنين هيكل: بالنسبة للجيش المصري فان حرب اليمن كانت تجربة قاسية لم تقتصر قسوتها على مجرد توزيع قواته على مسرحين يفصل بينهما أكثر من ألفي كيلومتر وانما الأقسى من توزيع القوات أن المسرح الساخن في البداية وهو اليمن قد أعطى القوات المسلحة دروسا خاصة تضر أكثر مما تفيد!.

وعند الفصل الخامس من كتاب البحث عن الذات لأنور السادات يكشف وجهة نظر أخرى عن حرب اليمن تكتمل بها الصورة من جوانبها العديدة، ويعترف قائلا: عبد الحكيم عامر كعادته أساء التصرف فبدلا من أن يجعل من حرب اليمن ميدانا لتدريب قواتنا على حرب العصابات وعلى تكتيكات جديدة انقلبت الحرب إلى تجارة ومنفعة وأصبحت مسرحا جديدا يثبت عليه عامر أقدامه وينشر نفوذه بحيث لا يستطيع أحد أن يزحزحه عن مكانه كمركز القوة الأول في مصر، هذا إلى جانب تورطه في المعونة العسكرية من لواء إلى لواءين إلى أن أصبح لنا في يوم من الأيام ٧٠ ألف جندي هناك لم يتم سحبهم الا بعد هزيمة ١٩٦٧ عندما اتفق الملك فيصل مع عبدالناصر على ذلك في مؤتمر الخرطوم فشلت حرب اليمن عسكريا فقد كنا نحارب بجيش نظامي عدوا متمرسا في حرب العصابات، ولكن رغم كل شيء لا أستطيع القول بان تضحياتنا ذهبت هباء فاليمن قد تخلص من حكم الامام الذي كان أسوأ من أي حكم في العصور الوسطى ثم أن عدن نالت استقلالها كنتيجة طبيعية لمعركتنا في اليمن، صحيح أن الحرب قد استنفدت جزءا كبيرا من رصيدنا من العملات الصعبة وأنها أعاقت فرقتين من أكفأ الفرق العسكرية عندنا عن الاشتراك في حرب ٦٧، ولكن هذا كله لا ينفي أن التدخل في ثورة اليمن كان ضربة سياسية لابد منها....

الطريق إلى النكسة

عندما عاد الشاذلي من اليمن التحق بهيئة التدريب، ولم يكن هناك في الأفق ما يلوح أو ينذر بحرب مقبلة مع إسرائيل كما يقول حتى إلى ما بعد شهر ابريل عام ١٩٦٧،

وقتها كان عبدالحكيم عامر هو نائب القائد الأعلى، والقائد العام، ولهذا عين شمس بدران وزيراً للحربية وجاءت الأخبار عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية وسافر الفريق محمد فوزي وكان وقتها رئيس أركان الحرب إلى هناك لكي يشهد الموقف على الطبيعة، وكان الشاذلي في هذا الوقت قد رفع إلى رتبة اللواء ولكنه من غير أفراد المطبخ العسكري كما قال وعندما وصلته التعليمات وكان مطلوباً أن ينفذها في وقت قياسي أبدى استغرابه لذلك، خاصة أن قوات كبيرة كانت لاتزال في اليمن واستراتيجياً ليس من الواجب فتح جبهتين في وقت واحد ومع ذلك كان القرار من القيادة العليا وعلينا الامتثال، وكانت الخطورة أن أغلب قادة الجيش في هذا الوقت لديهم شحنات بالغة من كراهية إسرائيل، من حارب عام ١٩٤٨، أو شارك في العدوان الثلاثي لكن هذا الشحن ذهب في اتجاه اليمن وليس إسرائيل أولاً.

ويمكن أن نلخص الوضع قبل حرب ٦٧ بما جاء على لسان الرئيس الراحل أنور السادات، خاصة أن الشاذلي لا يحب الكلام عن أمور لم يكن طرفاً فيها أو شاهداً عليها.

يقول السادات: كانت الأجواء في عام ١٩٦٧ تتسم بالكآبة ومصر مفلسة ومشاكل الخدمات التي أجلها رئيس الوزراء علي صبري متراكمة منذ عام ١٩٦٢ والصراع بين عبدالناصر وعبدالحكيم تصاعدت وتيرته وفي يوم جمعة من شهر فبراير من ذلك العام ذهبت لزيارة عبدالناصر على غير موعد فسألت الضابط المختص أن كان الرئيس قد استيقظ أم لا؟، فأخبرني انه في غرفة مكتبه فدخلت عليه ووجدته يجلس وقد وضع رأسه بين يديه حزيناً مهموماً وقفت أراقبه حوالي دقيقتين ثم فاجأته بسؤالي: جرى ايه يا جمال؟، مالك؟

التفت اليّ في دهشة فقد كان واضحاً انه لم يحس بدخولي الحجرة وقال:

ايه اللي جابك النهاردة يا أنور؟

قلت: النهاردة الجمعة وأنا لي مدة لم أرك قلت أفوت عليك نـدردش سـوا وأنـا عارف أنك يوم الجمعة بتبقى لوحدك.

قال لي: والله عملت طيب.. أقعد.

جلست وسألته مرة أخرى: مالك شايل الدنيا على دماغك ليه يا جمال؟

قال: يا أنور البلد بتحكمها عصابة وأنا مستحيل أكمل بهـذا الشـكل أكـون أنـا المسؤول وعبدالحكيم ينفذ مـا يريـد، الأفضـل لي أن أتـرك منصـبي وأجلـس في الاتحاد الاشتراكي ويتولى هو رئاسة الجمهورية ومستعد للتحقيق معي عن الفتـرة التي توليت فيها.

والسادات يرمـي بمسـؤولية فشـل الوحـدة بـين مصـر وسـورية عـلى أكتـاف عبدالحكيم، وبعد أيام عرف أن حكيم أرسل شمس بدران إلى عبدالناصـر يطلـب رئاسة وزراء مصر وبذكاء طلب منه أن يترك الجيش مقابل ذلك، قـال عبدالناصـر ذلك وهو يعرف مقدماً أن عبدالحكيم لن يفرط في منصبه العسكري.

وفي اجتماع ضم زكريا محيي الدين وعبدالحكيم عـامر وحسـين الشـافعي وعـلي صبري وصدقي سليمان رئيس الوزراء في هذا الوقت، وأيضاً السادات الذي يحكي:

قال لهم جمال عبدالناصر: حشودنا في سيناء تجعل الحـرب محتملـة بنسـبة ٥٠ في المئة أما اذا أغلقنا المضايق فالحرب مؤكدة مئة في المئة، ثم التفت إلى عامر وسأله:

هل القوات المسلحة جاهزة يا حكيم؟

فوضع عامر يده على رقبته وقال: برقبتي يا ريس كل شيء على أتم الاستعداد.

ويكمل السادات مؤكداً أن تسليح مصر كان قوياً بالفعل وقد سألنا عبدالناصـر عن اغلاق المضايق ووافقنا جميعاً على اغلاقها باستثناء صدقي سليمان الذي طلب التروي وان نأخذ في الاعتبار حالتنا الاقتصادية والخطط التي توقفت بسـبب منـع المعونة الأميركية، ولم يهتم عبدالناصر بذلك وكان ميالاً لاغلاق المضـايق حتـى

يوقف مزايدات العرب عليه وحتى يحتفظ بمكانته الكبيرة في الأمة العربية، وبهذا أصدر أوامره باغلاق المضايق وسحب قوات الطوارئ الدولية.

ويقول الشاذلي كانت عمليات حشد القوات المصرية تتم بطريقة استعراضية، أشبه بالمظاهرة بينما الحرب تقوم على السرية، ويؤكد أن خطة حشد القوات في العريش ورفح مرتبكة لا هي هجومية ولا دفاعية، والتخطيط العسكري في مجمله كان عشوائياً، وأفضل ما يجيب على هذه التفاصيل الفريق محمد فوزي رئيس الأركان، ولكني عندما أتحدث عن التخبط وقد لمسته، عندما استدعاني إلى القيادة في منتصف مايو والأوامر التي تصدر حائرة، تمركز هناك تحرك هناك إلى الشمال، إلى اليمين، حتى قطعت سيناء بأكملها ذهاباً وايابا وهذا ما يؤدي إلى استهلاك الدبابات وانهاك القوات، وحيث انني كنت في هيئة التدريب وهي جهة ليس لها قوات تم انتدابي وشكلت مجموعة عمليات خاصة من بعض وحدات منها كتيبة مشاة وكتيبة صاعقة وكتيبة دبابات، وأصبحت أنا قائدها وكانت تتبع قيادة سيناء مباشرة برئاسة الفريق صلاح محسن وهذه المجموعة التي شكلتها عرفت بعد ذلك في الدراسات العسكرية بمجموعة الشاذلي وخلال ١٠ أيام تغيرت المهام المكلف بها ٣: ٤ مرات حتى استقر بي المقام لحراسة المنطقة الموجودة بين المحورين الأوسط والجنوبي في سيناء.

وللتوضيح فان سيناء لها ٣ محاور، المحور الشمالي من القنطرة ثم يميل بجوار الساحل الشمالي إلى العريش ورفح وغزة والطريق الأوسط الذي ينطلق من الإسماعيلية في اتجاه الحسنة وبير سبع، والمحور الجنوبي من منطقة الشط والسويس ويتجه غرباً إلى نخل والتمد والحدود الإسرائيلية والمسافة واسعة بين المحور الجنوبي والأوسط وكانت هناك مخاوف أن العدو اذا أراد الهجوم فسينطلق من المحور الرئيس على طريق الاسفلت عبر الأراضي المفتوحة ثم يحاول الاختراق من المنطقة التي أقوم بحراستها، والأمر لا يتوقف هنا على عدد

القوات الموجودة معي، لكن على طريقتي في توظيفها وكيفية مواجهة العدو.

وفي يوم ٤ يونيو وصل ضابط اتصال من القيادة في سيناء وأخبرني أنني مطلوب في الثامنة صباحاً، حيث سيصل المشير عبدالحكيم عامر ليلتقي بالقادة وأنت منهم.

وكان مكان الاجتماع مع المشير في مطار فايد وهو ما يحتاج إلى ٥ ساعات حتى أصل إلى هناك لان الطرق وعرة وأخبروني بان طائرة هليوكوبتر ستصل في السادسة صباحاً لكي تأخذني أي أنني في صباح يوم الحرب ٥ يونيو وفي الاجتماع أو المؤتمر وجدت القادة ومنهم عبدالعزيز سليمان وعبدالقادر حسن وصلاح محسن وقادة من أسلحة المدرعات والمدفعية، ومن الطبيعي ونحن زملاء في لقاء مثل هذا أن نتبادل الأحاديث الودية والسلامات انتظارا لوصول المشير، ولكن فجأة سمعنا صوت انفجارات ووجدنا المطار الذي نحن فيه ينفجر وقد تم ضربه، تصور معظم القادة هنا، والجيوش وحدها وإسرائيل تضرب، هل هي صدفة؟، أم أنها مدبرة؟ إلى هذا الحد، والمفترض أن طائرة المشير في الجو والمدفعية عندها علم بذلك أي ممنوع الضرب، وكان بامكان إسرائيل لو عرفت بوجود كل القادة في هذا الاجتماع أن تضربهم جميعاً بضربة واحدة وتصبح القوات بدون رأس وهي مجرد جسد وعرفنا أن مطارات عدة في أنحاء مصر يتم ضربها في التو واللحظة.

انها أمور تحتاج إلى بحث وتثير علامات الاستفهام وكان ذلك في الثامنة صباحاً وكان ضرورياً أن يعود كل قائد إلى موقعه وسط جنوده، أخذوا سياراتهم وانطلقوا الا أنا لابد لي من طائرة لكن كيف تطير في هذا المناخ وقد سيطرت إسرائيل على الوضع جوياً، وقد تم تدمير أغلب المطارات خلال ساعتين على أكثر تقدير.

أي أننا باختصار خسرنا حرباً لم ندخلها، ولم يكن أمامي الا الركوب بانسيارة مع أقرب قائد لمجموعتي، وحتى هذا الوقت لم نكن نستشعر مدى الكارثة، وكنا نرى الطائرات الإسرائيلية تتجول فوق رؤوسنا ونحن في السيارة، وبعد حوالي ١٢ ساعة كنت قد وصلت إلى معسكر مجموعتي، ولم تكن القوات الإسرائيلية قد

اقتربت من المحور الذي أقوم بحراسته وكنت على بعد ٢٠ كيلومترا من الحدود الفلسطينية، ولان الاتصالات شبه مقطوعة وجدت القائد المناوب أو النائب لي يضرب أخماسا في أسداس ولا يعرف ماذا يفعل، لكنه أخذ وضع الاستعداد وحاولت الاتصال بقيادة سيناء وفشلت، وحاولت مع القيادة العامة وفشلت، ثم وجدت الطيران الإسرائيلي يحلق فوق رأسي!!

obeikandl.com